خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٨-٠٧-٢٠٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

من عادتي أنني في الخطبة الأخيرة قبل الجلسة السنوية ألفتُ انتباه المضيفين إلى إكرام الضيوف القادمين من أجل الجلسة والاعتناء بهم. وهذه الضيافة تجري على المستوى الجماعي وأيضًا على المستوى الفردي حيث يستضيف الأحمديون أقاربهم ومعارفهم.

إن إكرام الضيف خُلق جاء ذكره في القرآن الكريم، كما أنه من الصفات المميزة للأنبياء وأتباعهم. إن إكرام الضيف وسيلة لنشر التواد والتحاب في المجتمع، كما يتأثر به الأغيار فيتقربون إلى الجماعة وتتسنى فرص التبليغ أكثر. نجد في حياة النبي ﷺ أحداثًا عديدة لإكرام الضيف، كما نجدها في سيرة خادمه الصادق وعاشقه البار عليه السلام. لقد أخبر الله تعالى المسيحَ الموعود عليه السلام أن الناس سوف يتوافدون عليه بكثرة. والبديهي أنهم حين يتوافدون على مكان أجنبي جديد فيأتون كغرباء، ولذا أوحى الله إليه عليه السلام قائلا: "ولا تُصَعِّر لخَلق الله، ولا تَسْأمْ من الناس".. أي ينبغي أن لا تسيء معاملة الناس الذين سيأتونك ولا تسأم بسبب كثرتهم. فكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يكرم الضيوف حسب هذا التوجيه الإلهي، لأن إكرام الضيف سنة الأنبياء.

بيد أن هذا الوحي يحمل في طياته نصيحة لنا نحن في الواقع، وهي أن دار ضيافة المسيح الموعود عليه السلام ستتوسع بالتأكيد، فلا بد من إكرام الضيف للأحمديين المقيمين في المركز الذي يقيم فيه خليفة المسيح بصفة خاصة، وفي سائر المراكز بصفة عامة حيث يجتمع الناس باسم المسيح الموعود عليه السلام. على الأحمديين الذين أُنيطتْ بهم مهمة الضيافة ألا يُهمِلوا هذا الخُلقَ السامي.

وهذا الوحي الإلهي لا يتضمن نبوءة ارتفاع عدد أفراد الجماعة فحسب، بل فيه نبأ أيضًا أن أفراد الجماعة سيزدادون إخلاصا ووفاء أيضا.. أي أنه سيتواجد مخلصون كثيرون في المركز الذي يتوافد عليه الناس باستمرار، ثم إن هؤلاء الوافدين لن يكونوا من أتباعه عليه السلام فقط، بل سوف يرِد عدد كبير من عطاشى الحق بانتظام وسوف تتم ضيافتهم. ونظرًا إلى ذلك أسس

حضرته عليه السلام دار الضيافة حيث يجد الضيوف الذين يأتون بحثًا عن الحق وتحرّي الحقائق الطعامَ والسكن مجانًا. وقد عدّ حضرته عليه السلام هذا الأمر ضمن مهماته الجليلة البارزة. بفضل الله تعالى توجد اليوم دور ضيافة المسيح الموعود عليه السلام في كافة أرجاء العالم، ويهتم الناس بزيارة مراكز الجماعة حيثما وُجدتْ ليستمعوا إلى رسالته عليه السلام. ثم عندما تُعقَد الجلسة السنوية نرى هذا الإكرام في شأن آخر تماما.

فإكرام الضيف مهمة أنيطت بنا وقد صارت حقًّا واجبا على كل فرد من أفراد الجماعة عامة وعلى خليفة المسيح والمسؤولين في الجماعة بصفة خاصة. وأرى أن في ذلك تحذيرًا لنا بأنكم إذا لم تتحلّوا بالأخلاق الحميدة فقد تُحرَمون من إنعامات الله تعالى، وإذا تحليتم بهذا الخلق الفاضل فتفوزون برضوان الله تعالى. فجميع المتطوعين والقائمين على ترتيبات الجلسة لَسعداء حقًّا، إذ تسنّتْ لهم هذه الفرصة، وقدّموا أنفسهم لخدمة ضيوف المسيح الموعود عليه السلام. فمن فضل الله تعالى أن أفراد الجماعة رجالا ونساء وشيوخا وشبابا وصغارا يسجلون أسماءهم لخدمة ضيوف المسيح الموعود عليه السلام بحماس ملحوظ في شتى أقسام الجلسة. وكما أخبرتكم مرارا أن هذه الجلسات تعقد الآن في كل بلد وأشترك في بعضها، والأحمديون من كل شعب وبلد يقدمون أسماءهم بفضل الله تعالى لخدمات الجلسة متطوعين وبكل سرور. وقد سردت لكم أمثلة على ذلك من أفريقيا كيف أنهم يؤدون الخدمات المنوطة بهم في أيام الجلسة. وفي الآونة الأخيرة كانت الجلسات في أمريكا وكندا، وهناك أيضا قدَّم الأحمديون من كل طبقة ومن كل سنّ أسماءهم لخدمة الضيوف وقد قاموا بالخدمات متطوعين بكل

سرور. أما الجلسة في بريطانيا فقد حازت على أهمية خاصة. فبفضل الله قد توسع نظام الجلسة هنا أكثر بالمقارنة مع بقية فروع الجماعة لأن مقر الخلافة هنا ولأن الناس – أحمديين وغيرهم – يعقدون على هذه الجلسة آمالاً كبيرة، وبالتالي فبعض الخدمات هنا حساسة جدا. وكما قلت مرات عديدة سلفا إن الجلسة هنا قد أخذت طابع الجلسة المركزية، ومن ثم يكون قلقي عن هذه الجلسة أكثر لأن آمال الناس تكون أكثر وخاصة لأولئك الذين يأتون ضيوفا من خارج بريطانيا.

أود أن أوضح هنا أمرًا آخر وهو أن بريطانيا قد أصبحت مركز الأحمدية بسبب إقامة الخليفة هنا حاليًا، لذا فإن الخدام في لندن والعاملين في قسم الحراسة أو غيرهم الذين يخدمون في دار الضيافة التي تعمل بصورة دائمة، أو المتطوعين في بعض المناسبات والبرامج التي تُعقد هنا بكثرة، فإنهم يعملون أكثر من سائر الفروع الأخرى، لأنهم يعملون بشكل مستمر ويؤدون واجباتهم على أحسن وجه منذ ٢٤ عاما الماضية. في ربوة وقاديان هناك موظفون لإنجاز هذه الأعمال، أما هنا فيتطوع الخدام والأنصار لأعمال دار الضيافة والخدمات الأخرى في مسجد "الفضل". فجزاهم الله جميعًا أحسن الجزاء على هذه الخدمة. فإنهم يضحّون بوقتهم ومالهم في هذا البلد الأوروبي وفي هذه المدينة غالية المعيشة، وكل هذا راجع إلى علاقتهم القوية بنظام الجماعة والخلافة التي تبعثهم على تقديم هذه الخدمات. أسأل الله تعالى أن يوفقهم دائما في المستقبل أيضا.

إن الزوار والأغيار يتأثرون كثيرا من جلسات الجماعة الإسلامية الأحمدية ونظام دار الضيافة، كما كان الضيوف غير الأحمديين الذين كانوا يحضرون

إلى قاديان في زمن المسيح الموعود عليه السلام يتأثرون جدا عندما كانوا يرون نظامَ الطعام وإكرام الضيف، وخاصة عندما كانوا يرون إكرام المسيح الموعود عليه السلام للضيوف. وإن نظام دار الضيافة الذي أسسه المسيح الموعود عليه السلام يترك تأثيرا عميقا في قلوب الزوار في العصر الراهن. هذه المرة حين سافرت إلى أفريقيا لزيارة بعض البلدان حيث عقدت الجلسات السنوية كان عدد الحضور كبيرا وأكبر من ذي قبل بمناسبة اليوبيل المئوي للخلافة الإسلامية الأحمدية، فكان بعض غير الأحمديين الذين حضروا الجلسة يتأثرون كثيرا يندهشون ويذهلون عندما يرون هذا العدد الهائل يتناول الطعام في وقت واحد ومكان واحد ومجانا، حتى اعتبر بعضهم هذا الأمر وحده دليلا كافيا على أن هذه الجماعة ربانيةً ومن عند الله تعالى، وصرَّحوا أن مثل هذه الضيافة لم يلاحظوها في أي مكان آخر. فكل هذا نتيجة لتربية ذلك الخادم البار لسيدنا محمد المصطفى ﷺ، الذي علّمنا هذه الطرق وجعلنا نتأسى بأسوة رسول الله ﷺ. إن ضيافة النبي ﷺ وسخاءه قد ساعدت كثيرًا من الكفار على معرفة الحق، ذلك لأن إكرام الضيف خُلقٌ يجذب الناس على الصعيد الديني والدنيوي على حد سواء. وبما أن الله تعالى قد بعث المسيح َالموعود عليه السلام لتجديد الدين ولتمكين الإنسان من معرفة خالقه ولتقريبه إلى الله ولتوطيد الأخلاق الحميدة فقد وعده قائلا: "سأبلّغ دعوتك إلى أقصى أرجاء الأرض".. أي لا شك أن كل هذه المهمات المنوطة بالمسيح المحمدي عليه السلام ستتحقق في الظاهر على يديه وبواسطة الخلافة بعده، إلا أن الواقع أن لا أحد يقدر على استمالة القلوب نحو الحق إلا الله تعالى. فالحق أن الله تعالى هو الذي بنفسه ينجز مهمة نشر هذه

الدعوة، وقد ظل ينجزها عبر التاريخ ولا يزال ينجزها. قال الله تعالى له عليه السلام: عندما يميل الله القلوب نحوك نتيجة نصرته الهائلة فسوف يتدفق عليك الناس، حيث أوحى الله إليه عليه السلام: "يأتون مِن كل فجٍّ عميقٍ".. أي سيأتي إليك الناس من المناطق النائية، وحينما يرسل الله إليك هؤلاء الذين يقبلون الدين ويتعلمونه أو يبحثون عن الدين الحق، فلا تقلق ولا تضطرب بسببهم، بل عليك أن لا تدّخر جهدا في ضيافتهم متحليًا بالأخلاق السامية.

هذه هي أهمية الضيوف القادمين إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. فقد استهدف حضرته عليه السلام من تأسيس هذه الجلسات السنوية أن يجتمع الناس في مكان واحد سعيًا للتقدم في الدين والروحانية. فخدمة هؤلاء الضيوف الذين يأتون من أجل الجلسة واجبة على كل من يتطوع لهذه الخدمة، ويتحتم على كل من عُيِّن في أي شعبة من الشعب المختلفة للجلسة أن يؤدي عمله بمنتهى العناية. يأتي هؤلاء الضيوف من أجل المسيح الموعود عليه السلام، وإن الله تعالى -كما قلت سابقا- أمرَنا على لسانه عليه السلام أن لا نسأم منهم ولا نسيء معاملتهم بل نعاملهم بدماثة. إننا نرى في أسوة رسول الله ﷺ أمثلة غريبة ومذهلة لإكرام الضيف. ما أروعَ هذه الأمثلة! انظروا كيف أن ضيفه ينجّس السرير فيغسله النبي ﷺ بيده، وكيف أنه ﷺ يخدم الوفد القادم من قبل النجاشي بنفسه النفيسة، وعندما يتقدم الصحابة قائلين نحن نقوم بهذا العمل لماذا تتعب أنت يا رسول الله، رد عليهم قائلا: إن العزة والخدمة التي منحها هؤلاء القوم لإخواننا المهاجرين إليهم توجب عليّ أن أخدمهم بيدي. ثم يأتيه ﷺ ضيف، فيشرب حليب شاة، ثم يطلب المزيد، فيعطيه النبي ﷺ المزيد والمزيد حتى يشرب حليب سبع شياه، ومع ذلك لم

يزعجه الرسول ﷺ ولم يقل له: أنت شَرِهٌ، بل ظل يقدم له ما طلب حتى شبع.

ثم انظروا إلى تربيته ﷺ للصحابة حيث كان بعضهم ينوّم الأولاد جياعا ليقدم للضيف ما عنده من الطعام، ثم يتظاهر جالسا معه بأنه أيضا يشاركه في الأكل. وقد سُرّ الله على عرشه بهذه الضيافة حتى ابتسم، ثم أخبر رسولَه ﷺ عن هذا العمل الرائع الذي قام به بعض أصحابه. ولضيافة الصحابة أمثلة أكثر غرابة حيث لم تكن ضيافتهم ليوم أو يومين، بل إن الأنصار قدموا نصف أموالهم للمهاجرين الذين جاؤوا إلى المدينة ترحيبًا بهم، فقال الله في حقهم إعجابًا بعملهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾(الحشر:١٠).. أي أنهم يضحون بأنفسهم من أجل الآخرين.

وهنا يجدر الانتباه إلى أنهم لم يقدموا هذه التضحية لأنهم كانوا أثرياء، كلا بل كانوا يعيشون على الكفاف، ومع ذلك كانوا يضحون بأنفسهم من أجل الآخرين حيث نراهم دومًا مصداقا لقوله تعالى ﴿رحماءُ بينهم﴾، فكانوا يفرحون بخدمة إخوانهم المهاجرين.

إن الضيوف الوافدين للجلسة هنا في المملكة المتحدة يأتون لمجرد تعلُّم الدين وبدافع حبهم وولائهم للخلافة، لذا فيتحتم علينا أن نخدمهم وأن نلقى الجميعَ بوجه طلق، وأن نعاملهم برفق وحب. بعضهم يأتون من باكستان أو بعض البلدان الأفريقية أول مرة، والاعتناء بكل هؤلاء الضيوف القادمين من مختلف الشعوب والأمم والسعيُ لسد حاجاتهم واجب علينا، سواء أكان بعضهم غنيا أو فقيرا. يجب أن نخدم الجميع بصفتهم ضيوف المسيح الموعود عليه السلام.

في هذا العام يُتوقع عدد أكبر من الضيوف نظرًا لليوبيل المئوي للخلافة الأحمدية، لذا يحاول المسؤولون تحسين الترتيبات والمرافق قدر المستطاع، ويجب على المتطوعين أن يسعوا جاهدين لإنجاح هذه الترتيبات، لأن العاملين إذا لم يحسنوا العمل فالترتيبات غير مجدية مهما كانت جيدة. يجب على العاملين والعاملات أن يردّوا على السرور والحماس الذي يبديه الضيوف بسرور وحماس مثله وكل حين. فبمناسبة مرور مائة عام على قيام خلافة المسيح المحمدي، يجب على المتطوعين أن يتحمسوا لخدمة الضيوف أكثر من ذي قبل، ويضربوا نفس الأمثلة الرائعة التي كان يقدّمها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لضيوفه. فتأسَّوا بالأسوة التي تركها لنا حضرته في هذا الزمن. إن هذا أيضا أحد الجوانب الجميلة من سيرته عليه السلام، ومن هذا المنطلق أود تقديم بعض أحداث حياته عليه السلام المتعلقة بإكرامه للضيف.

لقد قال عليه السلام ضمن توجيهاته عن إكرام الضيوف والاهتمام بهم: يجب على المسؤول عن دار الضيافة أن يراعي حاجة كل الضيوف، لكن بما أنه وحيد والأعمال كثيرة ومن المحتمل أن ينسى، فيجب أن يذكِّره أحدٌ غيره".

أما الآن فقد توسع نظام الضيافة كثيرا والحمد لله، حيث يوجد موظفون يخدم بعضُهم في الجلسة بصفة دائمة وبعضهم مؤقتا، لهذا يجب أن لا يكون هناك أي تقاعسٌ.

ثم قال حضرته عليه السلام: "يجب ألا تهملوا أحدًا بالنظر إلى ثيابه الوسخة، لأن الضيوف كلهم سواسية في الحقيقة. يجب علينا الاعتناء بكل حاجة للضيوف الجدد خاصة، فبعضهم لا يعرف أين المراحيض، ومن ثم يعاني كثيرا. فمن الضروري جدا أن تهتموا لسد حاجات الضيوف كل الاهتمام.

أنا دائم المرض – علمًا أنه عليه السلام قد أعطى هذه التعليمات في أواخر أيام حياته– لذا ينبغي أن أُعَدّ معذورًا، لكن من واجب المسؤولين عن هذه الأعمال أن لا يتيحوا فرصة رفع أي شكوى من قبل أحد الضيوف، لأن الناس يأتون هنا بحثًا عن الحق بقطع مسافة مئات الأميال وبتجشُّم وعثاء السفر الطويل، فلو واجهوا هنا المشاكل فيمكن أن ينـــزعجوا ويحزنوا، والانزعاج يؤدي إلى الاعتراض والانتقاد، وهكذا يقعون في ابتلاء، وذنبُ كل ذلك يكون في عنق المضيف."

فكما قلت سابقا في هذه المرة أيضًا سيأتي الناس من شتى الشعوب والجنسيات وبعدد أكبر، وكثير منهم يأتون لأول مرة، ثم هناك ضيوف غير أحمديين من أفريقيا وغيرها من مختلف بلاد العالم، وإن تقديم الضيافة لكل هؤلاء ومراعاة مشاعرهم واجبٌ على كل واحد من العاملين في الجلسة. ومن فضل الله تعالى أنه كلما جاء هنا الضيوف من خارج الجماعة في السنوات الماضية تأثروا بحسن النظام وأشادوا به ورجعوا بانطباعات جيدة عن الجلسة. وفي هذه المرة أنا أكثر قلقًا لأننا نتوقع عددا أكبر من الضيوف. ومهما يكنْ فيجب ألا تكون هنا ثغرات في خدماتنا بسبب العدد الأكبر هذا.

في إحدى المرات ذُكرتْ أمام حضرته عليه السلام أمور تتعلق بالضيوف والضيافة فقال: إنني دائما أهتم ألا يتأذى أحد من الضيوف بل أؤكد دائمـــا علـــى تأمين الراحة لهم قدر المستطاع. إن قلب الضيف يكون كالزجاج وينكسر بصدمة بسيطة. كنت قبل ذلك آكل مع الضيوف ولكن لم أعد قادرا على ذلك منذ اضطررتُ لأكل طعام مخصص للمرضى بعد تفاقم مرضي الـــذي

ألمّ بي؛ وبالإضافة إلى ذلك فقد زاد عدد الضيوف كثيرا بحيث لم يعد المكان كافيا مما جعلني آكل وحدي. أحبذ أن يذكر الضيوف حاجاتهم بصراحة، إذ قد يكون أحدهم يعاني مرضا مثلا فيمكن أن ندبر لهم طعاما مخصصا للمرضى.

(أقول: اليوم يُطبخ الطعام من نوعين أو ثلاثة أنواع بفضل الله تعالى وإن لم يكن يتواءم مع أذواق جميع الأمم والأقوام. على أية حال، من واجب المضيفين أن يهيئوا الطعام حسب رغبة الضيوف وذوقهم قدر الإمكان)

يقول المولوي حسن علي – وهذا الكلام يعود إلى ما قبل بيعته، وكان قد زار قاديان للمرة الأولى في عام ١٨٨٧م – فيقول: لقد عجبت كثيرا لضيافة حضرة المرزا المحترم. أسرد حادثا بسيطا للإخوة حتى يأخذوا فكرة عن إكرامه الكبير للضيف. كنت مدمنا على أكل البان، وقد وجدته في أمرتسار ولكني لم أعثر عليه في مدينة بتاله. فمضغت حب الهيل وصبرت عليها مضطرا. لقد أتى صديقي من أمرتسار بعمل غريب جدا إذ ذكر عادتي السيئة هذه لحضرته عليه السلام في غيابي. فأرسل حضرته شخصا إلى مدينة غورداسبور لإحضار البان، وعندما تناولت وجبة الغداء كان البان متوفرا لي، وكان قد أُحضِر من أكثر من ٢٤ ميلا.

(أقول: قال له المسيح الموعود عليه السلام أن يزور قاديان مرة أخرى. ولما كان هذا الأخ سعيد الفطرة فحضر مرة أخرى في عام ١٨٩٤ وبايع على يده عليه السلام، لأنه حين زار قاديان للمرة الأولى لم يكن حضرته قد بدأ بأخذ البيعة بعد.)

هناك رواية كتبها حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ عن السيد عبد الله السنوري جاء فيها: في إحدى المرات كان حضرته عليه السلام مستلقيا في بيت الفكر – وهي غرفة تجاور مسجد "مبارك" وتعتبر جزءا من بيته عليه السلام– وكنت أدلك قدميه، فطرق "لاله ملاوامل" أو "لاله شرمبت" باب الغرفة فنهضت لأفتح الباب ولكنه عليه السلام نهض مسرعا وفتح الباب قبلي ثم عاد إلى مكانه وجلس وقال أنت ضيفنا، وأمر النبي ﷺ بإكرام الضيوف."

إن هذا الحادث يشكل مثالا رائعا على تواضع حضرته وإكرام الضيف أيضا. إنه حادث بسيط في الظاهر ولكنه يدل بكل وضوح على اهتمام السيد بعواطف خادمه وذلك من أجل التأسي بأسوة حبيبه ﷺ. وهذا لا يمكن أن يقوم به إلا المحب الصادق للنبي ﷺ. اليوم يتهم معارضونا حضرتَه عليه السلام ويقولون إنه يفضِّل نفسه على سيدنا رسول الله ﷺ، والعياذ بالله. الحق أن حضرته عليه السلام كان يهدف إلى أن يخلق في جماعته محبين صادقين للنبي ﷺ من هذا القبيل.

مرة جاءه عليه السلام شخص من كبار قرية "بيغووال" في ولاية "كفورتهله" لمعالجة أحد أقاربه. حين علم حضرته بمجيئه دبّر له على الفور طعاما لذيذا وسكنا مريحا جدا. واستفسر عن مرضه بكل لطف ومواساة، وطلب من حضرة الحكيم نور الدين الخليفة الأول ﷺ بشكل خاص أن يهتم بعلاجه.

وفي هذا الصدد ذكر حضرته عليه السلام أن بعض أجدادنا في عهد السيخ اضطر للذهاب إلى بيغووال لذا فإن لهذه القرية علينا حقا. فكلما جاء أحد من تلك القرية عامله حضرته دائما بلطف واحترام بوجه خاص.

هنا أيضا نرى حضرته يتأسى بأسوة سيده ومطاعه ﷺ حين جاءه وفد من قبل النجاشي فأكرم ﷺ الوفد لأن مَلِكهم كان قد أحسن إلى المسلمين.

يروي السيد حامد علي شاه السيالكوتي حادثا يقول: حدث مرة في أوائل الأيام أنني أقمت في قاديان لفترة ثم أردت أن أستأذن حضرته عليه السلام للمغادرة. كان حضرته داخل البيت، وكان قد سمح – شفقة ولطفا خاصا منه – بعض خدامه للدخول إلى البيت فأرسلت إليه أحدهم من أجل الاستئذان. فقال: قل له أن ينتظر وأنا قادم إليه. وحين تناهى هذا الكلام إلى أذني ذهبت إلى مكان معين ووقفت هناك منتظرا قدومه عليه السلام. وكذلك اجتمع الإخوة الآخرون أيضا في انتظار هذا السراج الروحاني كاجتماع الفراشات حول السراج المادي، فجاء سيدنا حضرة الحكيم نور الدين أيضا وهكذا اجتمع لفيف من الإخوة. وبقينا في انتظاره لبعض الوقت حتى خرج من البيت. وإذ بيده كأس وإبريق على عكس المعتاد مملوءا بالحليب، وبيَدِ حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد سكرٌ ملفوف في قطعة قماش (كان حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد عندئذ صغير السن وكان في رفقة أبيه) فحالما خرج حضرته من زقاق شرقي للغرفة المدورة سأل: أين حضرة الشاه؟ كنت موجودا هنالك فتقدمت إليه فورا وقلت: حاضر يا سيدي. توقف حضرته وأمرني بالجلوس فجلست في الحال. (وهكذا علّمنا أيضا أنه يجب الجلوس عند الأكل والشرب).

ثم صبَّ الحليب في الكأس وخلط فيه السكر. لا أتذكر الآن جيدا فيما إذا كان حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ناولني كأس الحليب أو ناولنيها

سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. كان ذلك المشهد مؤثرا للغاية ولا يزال ماثلا أمام عيني. ويقول الشيخ يعقوب علي عرفاني، محرر هذا الحادث بأنه أيضا يذكر هذا المشهد.

على أية حال كان حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد موجودا بهذه المناسبة الكريمة. كان حضرته عليه السلام يصب الحليب في الكأس ويخلط فيها السكر ثم يناولني. أراد بعض الإخوة أن يقوموا بهذه العملية ولكنه عليه السلام منعهم من ذلك وقال أنا سأتولى الأمر بنفسي.

حين شرب السيد حامد علي شاه الكأس الأولى ناوله حضرته كأسا ثانية. يقول الراوي بأني شربت كأسا ثانية وامتلأ بطني لأن الكأس كانت كبيرة. ثم ناولني عليه السلام كأسا ثالثة، فقلت: يا سيدي! قد امتلأ بطني. فقال: اشرب هذه فشربت الثالثة أيضا. ثم أخرج حضرته بعض البسكويت من جيبه وأعطاني إياها وقال: ضعها في الجيب وإذا شعرت بالجوع في الطريق فكُلْها، فوضعتها في الجيب. ثم أرسل الحليب المتبقى إلى البيت وقال: تعالَ نودِّعك الآن. قلت: يا سيدي سأركب العربة وأسافر وحدي ولا تكلّف نفسك. ولكن حضرته قال: سأشيعك، فبدأ يمشي معي. وكان معه لفيف من الإخوة فدار بينهم حديث ديني أثناء المشي. عندما قطعنا مسافة طويلة همس حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه في أذني وقال: عليك أن تتقدم وتستأذن حضرته وإلا سيظل يمشي معك كل المسافة. ففعلتُ. فقال عليه السلام بكثير من اللطف والمحبة: حسنًا، اركبْ أمام عيني. فركبتُ العربة، وعاد حضرته.

"مرة خرج المنشي عبد الحق مع حضرته عليه السلام متنزهًا، فقال له حضرته عليه السلام عند العودة: إنك ضيف، وإذا واجهتَ أية مشكلة فأَخْبِرْني، لأني

أكون عادةً داخل البيت ولا أعرف بحاجات الضيوف، وبسبب كثرة الضيوف في هذه الأيام يمكن أن يقصر الخدام في خدمتهم. وإذ لم تحب أن تقول لي شفهيا فيمكن أن تكتب لي حاجتك على وريقة، لأن إكرام الضيوف واجب عليّ."

يقول السيد مفتي محمد صادق:

"أتذكر أنني كنت قد أتيت من لاهور إلى قاديان، (ربما في عام ١٨٩٧-١٨٩٨)، فأجلسني حضرته عليه السلام في المسجد "المبارك" الذي كان عندها صغيرا، وقال: اجلسْ أنتَ هنا، وأنا أحضر لك الطعام. ثم ذهب داخل البيت. ظننتُ أنه سيرسل الطعام مع بعض الخدم. ولكن عندما فُتح الشباك بعد دقائق إذ به يأتي حاملا صحن الطعام في يده. فرآني وقال: ابدأْ بالأكل وأنا أُحضر لك الماء. تأثرتُ بهذا المشهد كثيرا، وانحدرت الدموع من عينيّ بصورة عفوية، وقلتُ في نفسي: إذا كان سيدنا وإمامنا يخدمنا على هذا النحو فكم بالحري بنا أن نهتم بخدمة بعضنا بعضا!"

يقول المنشي ظفر أحمد الكفورتهلوي:

"مرة جاء ضيوف كُثْر للاشتراك في الجلسة، ولم تكن لديهم فُرُشٌ أو ألبسة دافئة، فشرع أحد الإخوة – المسمى نبي بخش، عمدة القرية – يطلب الألحفة من بيت المسيح الموعود عليه السلام وظل يوزعها على الضيوف. وبعد صلاة العشاء ذهبت إلى حضرته عليه السلام وإذ به جالس متأبطا يديه من شدة البرد، وابنه مستلقٍ إلى جنبه – ربما كان حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه – وكان حضرته عليه السلام قد وضع عليه معطفه. عندما بحثتُ في الأمر تبين لي أن حضرته عليه السلام كان قد أرسل فراشه أيضا للضيوف. فقلت لحضرته عليه السلام: يا

سيدي! لم يعد عندكم فراش والبرد قارس. قال عليه السلام: يجب ألا يتأذى الضيوف بحال من الأحوال، أما أنا فسينقضي الليل على كل حال. ثم نزلتُ إلى الطابق السفلي وعتبتُ على السيد "نبي بخش" عتابًا كثيرا، وقلت قد أخذتَ حتى الفراش واللحاف الخاصين بحضرته! فندم كثيرا وقال: كيف أستعيده الآن من الشخص الذي أعطيته إياه. يقول الراوي: عندها استعرتُ الفراش واللحاف من المنشي فضل الرحمن أو غيره – لا أتذكر الاسم جيدا – وقدمتهما لحضرته، ولكنه لم يقبله وقال عليه السلام: أعطِهما لضيف آخر، أما أنا فلا أنام في كثير من الأحيان. فلم يأخذ الفراش رغم إصراري على ذلك بل قال: أعطِه لبعض الضيوف."

يقول شيخ يعقوب علي عرفاني: حضرتُ قاديان للمرة الأولى في أواخر آذار عام ١٨٩٣، وكانت الأيام الأولى من شهر رمضان المبارك، وكان الناس عند وصولي إلى قاديان يستيقظون لتناول السحور. كانت دار الضيافة تتكون من غرفتين صغيرتين وباحة، وكانت المساحة الباقية حيث تقع دار الضيافة الآن ميدانا واسعا. علِم السيد "الحافظ حامد علي" بمجيء أحد الضيوف. وهو المشرف والمدير والمسؤول عن دار الضيافة في تلك الأيام، وكانت بيني وبينه معرفة شخصية. فحين لقيني صافحني وعانقني بكثير من الحب والود، وسألني بحيرة: من أين أتيت في هذه الساعة المبكرة؟ (كان الوقت عندها الساعة الثالثة قبل الفجر). وحين سردتُ عليه أحداث السفر تحير كثيرا. سلَّمتُ له الخضروات التي كنت أحضرتها معي. فذهب بها إلى داخل البيت وأخبر المسيحَ الموعود عليه السلام بقدومي. يقول الراوي: أغلبُ ظني أن الوقت عندها كان حوالي الساعة الثالثة فجرًا. فدعاني حضرته عليه السلام إلى

غرفة قد هيئ فيها طعام شهي قبل وصولي هناك. لا يمكنني أن أنسى ذلك المشهد طيلة حياتي، إذ ظل عليه السلام يسألني عن أحوالي مرة بعد أخرى ويقول: لقد عانيتَ كثيرا. وكنت أقول: يا سيدي! لم أواجه أية مشكلة حتى لم أشعر بأية صعوبة. ولكنه عليه السلام كان يقول مرة بعد أخرى: لا شك أن الإنسان يعاني كثيرا حين يضل طريقه – علمًا أن الراوي كان قد وصل متأخرا جدا لأنه ضل الطريق – وأصر علي لتناول الطعام. يقول الراوي: شعرت بالخجل من الأكل أمامه عليه السلام وترددت في ذلك، فوضع عليه السلام الطعام أمامي بيده وقال: كُلْ، لأنك جائع، ثم إن السفر أيضًا يرهق الإنسان. بدأت الأكل، فقال عليه السلام: كُل ملء بطنك ولا تتكلف، فقد كابدت عناء سفر طويل. كان السيد حامد علي (المشرف على دار الضيافة) أيضا جالسا هناك. فقلتُ: يا سيدي! يمكنكم أن تذهبوا وتستريحوا وسآكل. فشعر حضرته أني قد أتكلّف في تناول الطعام بسبب وجوده، فقال للسيد حامد علي: حسنًا، أطعِمْه جيدا وافرشْ له فراشا وثيرا حتى يستريح وينام جيدا. قال هذا وانصرف، ولكنه عاد بعد هنيهة حاملا فراشا. كنت عندها أمرُّ بحالة غريبة. فمن ناحية كنت خجلا لحسن المعاملة التي يقوم بها هذا الشخص المبجل تجاه خادمه المتواضع. فقلت: لماذا تزعج نفسك يا سيدي؟ قال: كلا! ليس هناك أي إزعاج، بل عليك أن تستريح. باختصار، إنه عليه السلام ترك الفراش هنالك وانصرف، وبقي السيد حامد علي معي وأطعمَني بكل لطف ومحبة. ثم قال لي استلقِ أنتَ وسأقوم بتدليك رِجليك. فخجلتُ من كلامه ورفضت ذلك. فقال السيد حامد علي إن حضرته عليه السلام قد أمرني أن أفعل ذلك، لأنك مرهق بسبب السفر. وحين

سمعت هذا الكلام اغرورقت عيني بالدموع وقلت: يا لها من عواطف الحب واللطف التي يكنُّها قلبه الطاهر، وكم يتأذى من أجل خدامه وكم يحرص على راحتهم!! وعندما جلس عليه السلام بعد صلاة الفجر سألني: هل نمتَ جيدا؟ وهل زال التعب؟ فهكذا أعربَ عن لطفه الكبير.

يقول الراوي: إن هذا الحب واللطف هو الذي أجبرني على ترك الوظيفة والحضور إلى قاديان.

وهناك حادث آخر يتعلق بالسيد ميان رحمة الله باغانوالا – كان من خدامه عليه السلام المخلصين من "بنغا" وسكرتيرا لصدر أنجمن هناك، وقد بارك الله تعالى كثيرا في جماعة "بنغا" في عهده وكتب لها تقدمًا كبيرًا – في عام ١٩٠٥م حين كان حضرته عليه السلام مقيما في "الحديقة" نزل السيد ميان رحمة الله ضيفا في قاديان وأقام في دار الضيافة كالمعتاد. وكان ميان نجم الدين مسؤولا على دار الضيافة. وكان ذا طبع قاس بعض الشيء، وإنْ لم يكن أقلّ إخلاصًا، وكان يخدم الجماعة ويهتم براحة الضيوف بكل ما أعطي من قدرة. كان يملك طبعًا مجتهدًا. قام ميان رحمة الله بشيء من التكلف إذ تناول خبزا غير ناضج وسقط مريضا. لما سألتُه عن سبب ذلك قال: تناولتُ خبزا غير ناضج، وأنا غير متعود أصلا على أكل خبز يُخبَز في التنور.

شعرتُ بمعاناته، وذهبت إلى المسيح الموعود عليه السلام رأسا لأني أحب الصراحة والشفافية. وحينما علم عليه السلام بالأمر خرج من بيته فورا وبدأ يتمشى على رصيف الحديقة وقال لي: ما الأمر يا يعقوب علي؟ سردتُ له القصة وقلت: سيدي! إما أن تُوزَّع الضيوفُ على جميع الإخوة، أو يجب أن تكون هناك ترتيبات جيدة للطعام حتى لا يعاني الضيوف. يقول الراوي: إني نادم كثيرا

على ما قلتُ لحضرته عليه السلام بحيث إنني كلما أتذكر هذا الحدث يأخذ قلبي بالهبوط، وأقول في نفسي: لماذا قلتُ مثل هذا الكلام لمرسَل من الله تعالى. ولكن هذا الإنسان المتجسد رحمةً ولطفًا لم يهتم بنبرة كلامي، بل قال: لقد أحسنتَ صنعًا إذ أخبرتني بالأمر. فسأذهب إلى بيتي حالاً وأوفر الخبز (غير المخبوز في التنور إذا كنتَ غير متعود على أكله)، وسأنصح ميان نجم الدين أيضا في هذا الصدد، فادعُه هنا. من المستحسن أن تخبرني فورا إذا تعرض أي ضيف لمشكلة ما. إن العاملين في دار الضيافة لا يخبرونني وقد لا يعرفون أصلاً هذه الأمور. وقال عليه السلام أيضا: أين ميان رحمة الله؟ أرجو ألا يكون قد أصيب بمرض شديد، وإذا كان يستطيع أن يأتي إلى هنا فأْتِ به. عندما عُدْتُ إلى ميان رحمة الله ذكرتُ له الأمر، فقلق قلقا شديدا وقال: لماذا أزعجتَ حضرته عليه السلام؟ أنا بخير الآن. باختصار، ذهبتُ به وبميان نجم الدين المسؤول عن دار الضيافة إلى حضرته عليه السلام. فاعتذر عليه السلام من ميان رحمة الله كثيرا، وقال: قد صدر منا خطأ كبير. كان عليك ألا تتكلف. كنت مقيما في الحديقة (على بُعد من دار الضيافة قليلا) وإلا لما عانيتَ هذه المشكلة. أما الآن فقد تم تدبير الأمور على ما يرام. وكلما اعتذر حضرته عليه السلام لي ولميان رحمة الله ندمنا وخجلنا أكثر.

ثم ظل حضرته عليه السلام يسألني عن أحوال هذا الأخ – طيلة أيام إقامته هناك – وفيما إذا كان يواجه مشكلة ما. ونصح السيدَ ميان نجم الدين أيضا أن يهتم بالضيوف كثيرا.

يقول السيد مفتي محمد صادق: كان المسيح الموعود عليه السلام يكرم الضيوف ويهتم بهم كثيرا. عندما كان عدد الضيوف قليلا كان حضرته يدبّر لهم

السكن والطعام وغيرهما بنفسه. وحينما بدأ عددهم يتزايد كان ينصح الخدام والحافظ حامد علي وميان نجم الدين وغيرهما أن لا يتأذى أحد من الضيوف، ويجب أن يهتموا بجميع حاجاتهم من أكل وشرب وسكن. تعرفون بعضهم ولا تعرفون بعضهم الآخرين، فالأنسب أن تعتنوا بإكرام جميعهم وتهتموا بهم جيدا. وما دام الطقس باردا فقدّموا لهم الشاي أيضا حتى لا يتأذى أحد منهم. إنني أحسن بكم الظن أنكم تعملون على راحة الضيوف. اخدموهم جميعا، وإذا كان أحدهم يشعر بالبرد في مسكنه فدبِّروا له الحطب أو الفحم للتدفئة."

والآن اسمعوا انطباعات شخص غير أحمدي كان قد زار قاديان عام ١٩٠٥م. وبعد عودته كتب في جريدة "وكيل" الصادرة في أمرتسار قصة سفره أذكر لكم جزءا منها، فقال:

"ماذا رأيتُ بالإضافة إلى ذلك؟ رأيت قاديان، قابلتُ حضرة المرزا المحترم. نزلتُ عنده ضيفا، ومن واجبي أن أشكر حضرة المرزا على مكارم أخلاقه واهتمامه بي. كنتُ أصبتُ بنفطات في فمي نتيجة الحر الشديد فلم أعد قادرا على تناول الأطعمة التي فيها بهارات. وفي إحدى المرات جاءني حضرته عليه السلام من بيته صدفة ووصف لي حليبا وخبزا تقليديا. يقيم حضرته في هذه الأيام مع أكابر الجماعة خارج قاديان في حديقة واسعة يملكها. إن عدد سكان قاديان يُقدَّر بثلاثة آلاف نسمة تقريبا. إن بيت نواب ماليركوتلة الشامخ ينفرد في القرية كلها. الطرق غير معبدة، وخاصة الطريق بين "بطالة" و"قاديان" أسوأ من غيره. والمعاناة التي كابدتها أثناء السفر في العربة

(من "بطالة") إلى قاديان قد خُفِّفتْ إلى النصف لدى العودة منها في مطية دبرها لي حضرة النواب مالير كوتلة.

ثم يقول: لولا شوقي العارم لمقابلة حضرة المرزا لما خطوتُ ثماني خطوات في هذا الطريق ناهيك عن قطعي مسافة ثمانية أميال.

إن صفة إكرام الضيف لم تقتصر على أشخاص معينين فحسب، بل عاملني الجميع، صغيرا كان أم كبيرا، معاملة الأخ لأخيه."

قدمتُ إليكم بعض الأحداث فقط، لكي يستعيد المتطوعون في أعمال الجلسة حماسا لخدمة الضيوف من ناحية، ومن ناحية ثانية نستحضر هذا الجانب من سيرة المسيح الموعود عليه السلام، إذ إن الأغلبية ليست مطّلعة على كثير من جوانب سيرته عليه السلام لكونها غير متوفرة في جميع اللغات.

وكما قلت من قبل، يكون هناك ضيوف من الأقارب الأقربين في بيوت بعض الناس، فيقومون بضيافتهم بكل سرور. ويكون هناك بعض الضيوف الآخرين من ذوي قرابة أو معرفة بسيطة، فيجب أن تستضيفوهم وتكرموهم أيضا. وكذلك يجب أن يهتم المتطوعون لشتى الخدمات براحة الضيوف – وخاصة في شُعبة الطعام والسكن والنظافة والمواصلات لأنهم يتعاملون مع الضيوف أكثر من غيرهم. وفي هذه المرة يتوقع أن يكون عدد الضيوف أكثر بكثير من السنوات السابقة، فعلى المتطوعين في فرع المواصلات أن يؤدوا واجبهم على أحسن وجه. رغم أن هناك ترتيبات للسفر بالحافلات والقطارات حيث تنطلق الحافلات من أماكن معينة تحت رعاية نظام الجماعة، ولكن يجب إيصال الضيوف القادمين من خارج أوروبا إلى مكان الجلسة أولا. ولكن لا تعاملوا الضيوف الآخرين أيضا

بقسوة، بل ينبغي أن تشرحوا لهم برفق ولين. إن الضيوف القادمين من بلاد أوروبية يملكون السيارات وهم قادرون على أن يتحملوا نفقات السفر بالقطارات أيضا، ولكن الوافدين من بلاد فقيرة لا بد أن نوصلهم بالحافلات. فعلى العاملين في الجلسة أن ينتبهوا إلى هذا الأمر جيدا. وأقول للإخوة المقيمين هنا أن يؤثروا الضيوف على أنفسهم.

إن التنبوءات حول الطقس ليس مما يمكن الاعتماد به، فادعُوا الله تعالى أن يجعل الأمور تسير على أحسن ما يرام، وأن يكون الطقس أيضا مناسبا. ولكن لو أطلّتْ مشكلة ما برأسها لسبب أو آخر، فعلى المتطوعين أن يبدوا بشاشة ورحابة صدر، كما فعلوا في السنة الماضية، بل أكثر من ذي قبل. الحق أن الخدمة تتطلب تضحية، وهذا ما ينبغي أن نقوم به. الخدمة لا تتم بسهولة ويسر. ولا بد أن نخدم ضيوف سيدنا المسيح الموعود عليه السلام خاصة كما ينبغي. فلو خدمتم ضيوف المسيح الموعود عليه السلام الذين سيحضرون الجلسة لفزتم برضا الله تعالى. وفق الله تعالى الجميع لأداء واجباتهم على أحسن ما يرام. آمين.